**قراءات في جغرافية الثقافة**

تيموثي س. أوكس و باتريشيا ل. برايس

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

**مقدمة**

لقد كان هناك اهتماما متزايدا بجغرافية الثقافة كتخصص أكاديمي ، مع ما يسمى "التحول الثقافي" في الجغرافيا والعلوم الاجتماعية بشكل عام . حتى الآن ، لم يكن هناك نظرة عامة عبر الأطلسي يمكن الوصول إليها بشكل عام وتوازن بين الكتابات الكلاسيكية والمعاصرة في جغرافية الثقافة والمجالات ذات الصلة . يجمع قرائة في جغرافية الثقافة بين اثنين وخمسين قراءة مختصرة كلاسيكية ومعاصرة ، بما في ذلك مساهمات من : ((كليفورد جيرتز ودورين ماسي وبيتر جاكسون وآلان لاثام وجيه بي جاكسون وجيليان روز وكلارنس جيه جلاكن وألكسندر ويلسون وليزا مالكي وجورج سيميل وروبين لونجهورست ودون ميتشل وجيل فالنتين وليلى أبو لغد)) .

وهو مقسم إلى ثمانية أجزاء - مقاربة الثقافة ؛ جغرافية الثقافة : علم الأنساب عبر الأطلسي ؛ المظاهر الارضية ؛ الطبيعة ؛ الهوية والمكان في سياق عالمي ؛ الوطن والبعيد ؛ الاختلاف ؛ الثقافة كمورد - والتي يرى المحررون أنها تمثل نطاق التخصص ومفاهيمه الأساسية . تم اختيار القراءات بناءً على أصالتها وإمكانية الوصول إليها وتركيزها التجريبي ، مما يسمح للطلاب بفهم الأدوات المفاهيمية والنظرية لجغرافية الثقافة من خلال البحث الواقعي لعلماء بارزين في هذا المجال . يبدأ كل جزء بمقدمة تناقش المفاهيم الأساسية وتاريخها وعلاقتها بجغرافية الثقافة ، والارتباطات بالتخصصات والممارسات الأخرى . كما يتضمن كل جزء ستة إلى سبعة فصول مختصرة من الكتب ومقالات في مجلات ، كل منها بمقدمات خاصة بها .

إن سهولة القرائة والنطاق الواسع والتغطية لكل من القطع الكلاسيكية والمعاصرة من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة تجعل من قرائة في جغرافية الثقافة ذا صلة ويمكن الوصول إليه لجمهور عريض من طلاب البكالوريوس وطلاب الدراسات العليا على حد سواء . فهو يربط بين التقاليد الوطنية المختلفة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، فضلاً عن تقديم مدى جغرافية الثقافة الكلاسيكية والمعاصرة . من خلال القيام بذلك ، يوفر الكتاب للمدرس والطالب نصًا مرجعيًا متعدد الاستخدامات ولكنه دائم البقاء .

**هل هونج كونج مدينة جيدة ؟**

على غلاف هذا الكتاب ستة عشر صورة ثابتة من فيلم "مدينة جيدة جدًا" للمخرج ماثياس وو. تم تصوير الفيلم في عام 1998 ، بعد عام واحد من إعادة توحيد هونج كونج مع الصين ، وينظر فيلم وو الذي تبلغ مدته ثمانين دقيقة إلى هونج كونج كما قد يراها المرء من المقعد الأمامي لحافلة ذات طابقين أو عربة ترام . وبينما تمر المظاهر الارضية للشوارع في المدينة بسرعة متزايدة ، يروي صوت كانتوني الصعوبات التي يواجهها الشخص الذي ينشأ في مدينة تحكي قصتها بشكل أفضل من خلال "سرد وتيرتها" . وتنتقل مقاطع من التعليق الصوتي عبر الشاشة في عبارات صينية معزولة وعشوائية على ما يبدو، بينما لا تقدم "الترجمات" الإنجليزية ترجمة للسرد على الإطلاق ولكنها إعادة صياغة لقصيدة "أغنية حب ج. ألفريد بروفروك" لت. س. إليوت .

ومن الواضح أن الاغتراب الحضري واضح في عمل وو. "مدينة جيدة جدًا" - والتي استمدت اسمها من أطروحة كيفن لينش الكلاسيكية حول التخطيط الحضري "نظرية شكل المدينة الجيدة" (1981) - تترك المشاهد مع شعور بأن الوعد الطوباوي للتخطيط الحضري الحديث كان فشلًا ذريعًا ، وأن هونج كونج ، مثل مدن العالم الأخرى ، عبارة عن مشهد فوضوي وغير صالح للسكن من وسائل النقل الجماعي . وكما يقول وو نفسه ، "إن سرد قصة عن مدينة ما هو مجرد سرد للخطوط الموجودة فيها ؛ وسرد قصة عن قصة قد يكون مجرد سرد للخطوط والخطوط ". والجميع يعلمون أن الخط ليس مساحة . لا يمكن للمرء أن يعيش على خط .

**لماذا اخترنا صور وو لهونج كونج لغلاف قرائة في جغرافية الثقافة ؟**

هل يعني هذا أن عالمنا أصبح فوضويًا وغير صالح للسكن ؟ هل يعني أننا نعيش دائمًا في وسائل النقل ، ونتنقل دائمًا ولكننا لا نقيم أبدًا في مكان ؟ ندعو القارئ إلى التساؤل حول هذه الصور . تخيل نفسك تزور هونج كونج ليوم واحد ، وترى المدينة في حافلة . تخيل أنك تفعل هذا كزائر لمدينتك أو بلدتك . **اجمع في ذهنك للحظة صور مدينتك التي قد تراها أثناء مرورك بها . كيف تبدو مدينتك ؟ كيف هي الحياة والعمل هناك ؟ هل هي مدينة جيدة** ؟ إذا جمعت هذه الأفكار والمناظر في ذهنك وكتبتها ، فستفعل نفس النوع من الأشياء التي يفعلها جغرافي الثقافة . يمكن النظر إلى المدينة الجيدة جدًا على أنها جغرافية ثقافة لهونج كونج ؛ فهي تثير **أسئلة حول كيف نعيش في بيئة معينة ونختبرها ونشكلها** ، وحول **ما يعنيه لنا العيش في هذه البيئة وإعادة تشكيلها** ، وحول **كيف تتغير هذه البيئة** (وبالتالي علاقتنا بها) بطرق مختلفة . هذه هي الموضوعات الأساسية لجغرافية الثقافة . وهي مواضيع أساسية في حياة جميع البشر.

كتخصص أكاديمي ، تستعين جغرافية الثقافة بهذه الموضوعات كأساس لتحليلات متعمقة لكيفية عيشنا في العالم وتصرفنا فيه ، وما يعنيه هذا العالم لنا . إن فيلم ماتياس وو ، الذي يُنظَر إليه كونه جغرافية ثقافة لهونج كونج ، يشير إلى مجموعة غنية من القضايا والأسئلة التي تتجاوز إلى حد بعيد موضوع الاغتراب الحضري الذي أصبح مستهلكاً إلى حد ما . وبالتالي ، قد ينظر المرء إلى فيلم "مدينة جيدة للغاية" ليس فقط كونه نسخة أخرى من "الحياة غير المتوازنة" (على الرغم من أن فيلم وو يذكرنا في بعض النواحي بفيلم جودفري ريجيو لعام 1982 "كويانسكاتسي" ، والذي يعني بلغة الهوبي "الحياة غير المتوازنة") ، بل كونه بحثاً مستمراً عن مكان في عالم من التغير السريع . ويثير فيلم وو ضمناً أسئلة حول الحياة في هونج كونج في سياق انتقالها الأخير من مستعمرة بريطانية إلى منطقة إدارية خاصة صينية : مدينة مزدهرة على حافة الهاوية الهشة بين الدول القوية .

إن الوساطة التي تتمتع بها هونج كونج ــ التي كانت لفترة طويلة بمثابة بوابة بين الصين و"الغرب" ــ جعلتها دائماً مساحة للعبور والتنقلإت ، يشكل التنقل جزءاً أساسياً من حياة الناس في هونغ كونغ . والآن ، مع افتتاح ديزني لاند جديدة مؤخراً وحملة حكومية مستمرة للتأكيد على السياحة ، فإن التنقل ما يزال يحدد هونغ كونغ بطرق أساسية . لقد أصبح الانتقال السياحي أسلوب حياة في هونغ كونغ ، حيث يُطلب من السكان تقديم مدينتهم للزوار كمظهر طبيعي صالح للاستهلاك . وهم أنفسهم يشجعون من قبل حكومة هونغ كونغ على استهلاك مدينتهم كما يفعل السياح . إن المنظر الذي يشاهده وو من الحافلة ، إذن ، هو منظر المقيم والزائر، من الداخل والخارج ، والسائح المحلي . ويكافح الفيلم لإيجاد معنى لهذا التناقض ، هونغ كونغ كنوع من المفارقة ، ومنظر طبيعي غير مقروء للمشاهدين والسكان على حد سواء . كيف يعيش المرء في مكان مثل هونغ كونغ ؟ كيف يمكن للمرء أن يحفر مساحة للهوية والمعنى من الزوال والانتقال والنزوح والتنقل التي يبدو أنها تحدد تجربة الوجود هناك ؟ في نهاية المطاف ، هذه هي الأسئلة التي يمكن طرحها على العديد من الأماكن في جميع أنحاء العالم ، وليس فقط هونج كونج .

ومع ذلك ، فإن الهدف من النظر إلى "مدينة جيدة جدًا" كونها جغرافية ثقافة ، لا يعني أن كل جغرافية الثقافة تثير مثل هذه الأسئلة الوجودية حول ما يعنيه السكن في أماكن في عالم متزايد العولمة من التحول والتغيير . بل بالأحرى ، فإن الهدف هو تقديم فيلم وو كمثال واحد فقط لكيفية تجربة الناس لعالمهم ، وكيف يمثلون هذه التجربة ، وكيف يجعلون هذه التجربة وتمثيلها ذا معنى . من المؤكد أنه لا توجد جغرافية ثقافة واحدة لهونج كونج ، وعلى الرغم من كل أسئلة وو حول الاغتراب والتنقل والزوال ، فهناك بلا شك العديد من الآخرين الذين يعيشون في هونج كونج والذين تأملوا في مدينتهم بطرق مختلفة للغاية .

إن حقيقة أن تجاربنا ومعارفنا ومعانينا للعالم مختلفة للغاية تولد قدراً كبيراً من الجدل والصراع وحتى العنف . إن جغرافيات الثقافة قد تكون موضع نزاع شديد ، وذلك لسبب بسيط للغاية وهو **أن ما يجعل المدينة جيدة لمجموعة من الناس يمكن أن يجعل هذه المدينة بدورها منفرة أو خطيرة لمجموعة أخرى** . وبالنسبة لبعض الناس فإن زوال هونج كونج هو ما يجعلها مدينة جيدة ، وليس مشهداً فاشلاً لما أطلق عليه عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي مارك أوجيه "الأماكن غير الطبيعية". وبالتالي **فإن السياسة لا تبتعد كثيراً عن الثقافة** . إن تركيزنا هنا على سياسة الثقافة لا يهدف إلى نقل فكرة أن "الثقافة سياسية" ، بل وأيضاً العكس: "السياسة ثقافية" . وبهذا نعني اقتراح مفهوم واسع إلى حد ما للسياسة ، وهو مفهوم يُعرَّف بأنه علاقات القوة التي يتم التعبير عنها بطرق مختلفة عديدة ، ولا يقتصر فقط على السلوكيات الانتخابية أو العلاقات الاجتماعية للطبقة .

في حين أنه من الواضح أن هناك طرقًا لا حصر لها على ما يبدو يختبر بها الأفراد والجماعات عالمهم ويشكلونه ، وأنه قد يكون هناك العديد من جغرافيات الثقافة التي تمثل أو تعكس أو تحلل هذه التجارب والتغييرات ومعانيها ، إلا أن هناك العديد من الموضوعات التي تميل إلى الظهور بشكل متكرر في جغرافية الثقافة . ويظهر عدد منها في فيلم ماثياس وو. تركز معظم جغرافيات الثقافة بطريقة أو بأخرى على المظاهر الارضية ، وهو مصطلح يشير عادةً إلى ظهور قسم معين من الأرض ، ولكن تمت مناقشته بشكل أكثر شمولاً في الجزء الثالث من هذا الكتاب . بالإضافة إلى ذلك ، فإن فيلم وو يدور حول **المكان** ، أي المساحة التي يتماهى معها المرء ويشعر وكأنه في وطنه ، والتي تحمل معاني وذكريات يتقاسمها الأفراد والجماعات حول بيئة معينة . تتم مناقشة المكان بمزيد من التفصيل في الجزء الخامس من الكتاب . يوجه كلا المصطلحين - المظاهر الارضية والمكان - انتباهنا إلى الطرق التي يعرف بها الناس مكانهم في الفضاء ويصممونه ويفهمونه . وبالتالي ، **فإن كيفية بناء المعرفة الخاصة بعالمنا هي موضوع أساسي في جغرافية الثقافة .**

هناك موضوعات مركزية أخرى لجغرافية الثقافة . إن قدراً كبيراً من خبرتنا بالعالم يجعلنا على اتصال بالأشياء غير البشرية . إن كيفية تعريفنا للطبيعة وفهمنا لها والانخراط فيها ، إذن ، هي موضوع أساسي آخر، وإن كان أقل وضوحاً في فيلم وو، ربما باستثناء غيابها المذهل . الطبيعة هي محور الجزء السادس من القارئ . هناك أيضاً مجموعة أخرى من الموضوعات التي لا يتم التعامل معها بشكل مباشر في فيلم وو على الإطلاق . تركز هذه الموضوعات بشكل صريح على الادعاء أعلاه بأن السياسي لا يبتعد كثيراً عن الثقافي . وهذا ليس ببساطة لأن هناك العديد من الطرق المختلفة التي يعرف بها الناس عالمهم ويختبرونه ، ولكن لأن هذه المعرفة والخبرة تتشكلان بالسلطة . لا يتقاسم الناس الوصول المتساوي إلى العالم ، ويتجلى هذا التفاوت في العديد من الطرق . إن الأنماط الاجتماعية للتمييز والاستغلال والذكورية تشكل جغرافيات الثقافة بطرق أساسية . بعض الناس يتمتعون بقدر كبير من الحركة ، في حين أن البعض الآخر ثابتون نسبياً . يستهلك البعض العالم بمستويات عالية ، بينما لا يستهلك البعض الآخر إلا بالكاد. والبعض أكثر مسؤولية من غيرهم في تحديد الطرق السائدة التي نتفاعل بها مع العالم ونشكله . وهذه هي المواضيع التي يتم التعامل معها على وجه التحديد في الجزء السابع من الكتاب . وفيما يلي نستكشف بعض هذه الجوانب الأكثر سياسية لجغرافية الثقافة قبل الانتقال إلى مناقشة عامة لجغرافية الثقافة كونها تخصصًا أكاديميًا .

**قضية الحجاب ،
 أو هل أجبرتني ثقافتي على فعل ذلك ؟**

في فيلمه ، تساءل ماثياس وو عما إذا كانت هونج كونج ــ المدينة العالمية التي تتسم بالزوال والانتقال والسفر ــ مدينة جيدة . وهنا ننتقل إلى سؤال آخر أثارته العولمة والتنقل : كيف نستطيع التوفيق بين الهويات الدينية القوية والقناعات داخل الدول التي تدعي التسامح الديني طالما أن الممارسات الدينية تُبْقَى بعيدة عن الحياة العامة ؟ وما الدور الذي تلعبه الثقافة في الطرق التي تسعى بها الأقليات إلى دمج نفسها (أو عدم دمجها) في المجتمعات المهيمنة ؟ وكيف تساعدنا جغرافيات الثقافة للتعددية الثقافية والعولمة في فهم بعض القضايا التي تبدو مستعصية على الحل فيما يتصل بالتنوع الثقافي والتي تواجهها الدول في مختلف أنحاء العالم اليوم ؟ لا شك أن هناك العديد من الأمثلة من مختلف أنحاء العالم التي يمكننا الاستعانة بها لمناقشة هذه القضايا . وهنا ننتقل إلى سرد موجز لما يسمى قضية الحجاب في فرنسا المعاصرة ، لنقدم إحساساً بكيفية فهم جغرافيي الثقافة لمثل هذه الأسئلة .

في التاسع عشر من أكتوبر/ تشرين الأول 1989، طرد إرنست شينييه ، مدير مدرسة غابرييل هافيز في كريل بفرنسا ، ثلاث فتيات مسلمات ـ فاطمة وليلى وسميرة ـ لرفضهن خلع الحجاب أثناء حضورهن المدرسة . ورغم أن الحجاب يمثل تعبيراً عن هوية دينية معينة يحميها التزام فرنسا بالحرية الدينية ، فإنه كان بالنسبة لشينيه أيضاً رمزاً للمعتقدات التي تحدت بشكل مباشر الفكرة ذاتها التي استند إليها مبدأ الحرية الدينية في فرنسا . هذه الفكرة هي العلمانية ، وهو مصطلح يشير عموماً ، وإن كان من الصعب ترجمته إلى اللغة الإنجليزية ، إلى **مفهوم الدولة العلمانية** التي توجد فيها حرية الدين ، ولكنها توجد في نطاق خاص متميز لا يتدخل في المجال العام الذي توجد فيه المواطنة .

في الواقع ، ربما كان الإيمان الصادق بالحرية الدينية هو الذي دفع شينييه إلى التصرف في المقام الأول ، على افتراض أنه كان من الممكن أن يفترض أن الفتيات مطالبات بارتداء الحجاب في الأماكن العامة ، وربما ضد إرادتهن . لكن هذا لم يكن هو الحال . فقد توصل مسؤولو المدرسة وأولياء أمور الفتيات بالفعل إلى اتفاق يُلزَم بموجبه بحضورهن الفصول الدراسية دون تغطية رؤوسهن . لكن فاطمة وليلى وسميرة ذهبن إلى الفصول الدراسية مغطيات على أي حال . وعلى هذا النحو ، اكتسب تصرفهن طابعًا متعمدًا ، ولفتة من الهوية والتحدي ، والتي كانت بالتالي سياسية بشكل صريح .

وبعد أسبوعين ، نقل وزير التعليم ليونيل جوسبان الأمر إلى مجلس الدولة ، وهو المحكمة العليا في فرنسا ، الذي قدم تفسيرًا غامضًا لكيفية تطبيق العلمانية على وشاح الرأس . وقد حكم المجلس بأن ارتداء الطلاب للرموز الدينية لا يتعارض مع العلمانية ، ولكن ارتداء مثل هذه الرموز كعمل من أعمال "الضغط أو الاستفزاز أو التبشير أو الدعاية" أو بطريقة من شأنها أن تعكر صفو الوظيفة الطبيعية للتعليم العام ، ينتهك المبادئ الأساسية للقانون الفرنسي . وترك المجلس لمسؤولي المدرسة تفسير هذا التمييز بين الحجاب كونه علامة على التدين أو الهوية الدينية والحجاب كونه عملاً من أعمال الاستفزاز السياسي أو الإزعاج العام . وفي عام 1994 أوضحت وزارة التعليم الحكم بإعلانها صراحة أنه في حين يتمتع الطلاب بحرية ارتداء الرموز الدينية بشكل سري ، فإن الحجاب لا يجوز ارتداؤه بأي قدر من التقدير وبالتالي فهو محظور في المدارس الحكومية الفرنسية .

إن جغرافية الثقافة تشكل عنصراً أساسياً لفهم سبب رد شينير على تصرفات فاطمة وليلى وسميرة بالطرد ، ولماذا تم رفع القضية إلى المحكمة العليا الفرنسية للبت فيها . هناك طريقتان على الأقل يمكننا من خلالهما النظر إلى القضية من خلال العدسة التحليلية لجغرافية الثقافة . أولاً، تعتمد العلمانية على حدود واضحة بين فضاءين متميزين : الفضاء الخاص (حيث يقال إن الدين ينتمي) والفضاء العام (حيث يكون جميع المواطنين متساوين أمام القانون) . من الواضح أن تصرفات الفتيات تحدت هذه الحدود من خلال إسقاط قطعة من الملابس التي اعتبرتها الدولة خاصة على الفضاء العام . ولكن من منظور جغرافية الثقافة ــ أي من خلال إيلاء اهتمام أكبر للكيفية التي يتفاعل بها الناس فعليًا مع بيئتهم ، وكيف يجعلون هذا التفاعل ذا معنى ــ فإن الفضاءات المجردة الخاصة والعامة لا تمثل دائمًا الطرق التي يعيش بها الناس فعليًا . إن الحدود ربما تكون منطقية على نطاق الأمة ، وهو مجتمع متخيل حيث يتم تعريف المواطنة ، ولكن الممارسات الثقافية الفعلية يتم تنفيذها على نطاقات أكثر محلية .

في الواقع ، ربما يكون النطاق المحلي للغاية للجسد هو أهم مقياس على الإطلاق في جغرافية الثقافة . تنتقل أجسادنا بين المساحات الخاصة والعامة طوال الوقت . غالبًا ، تعتمد كيفية لباسنا وتصرفنا مع أجسادنا على ما إذا كنا في مساحة خاصة أو عامة ، وهناك معايير اجتماعية تحكم مثل هذه الملابس والأفعال ، وهي معايير تختلف وفقًا للجنس والطبقة الاجتماعية والاقتصادية والعرق والمكان والوقت من اليوم وما إلى ذلك . ولكن بعض الأجسام قد تفشل في الالتزام بهذه المعايير . وكما يوضح الاختيار الذي قدمه بيتر جاكسون ، فإن السياسة الثقافية لكيفية لباسنا لأجسادنا تشكل مجالًا مهمًا في جغرافية الثقافة . إن الاهتمام بالثقافة على نطاق الجسد يوضح أن الانقسام بين الخاص والعام ليس حقيقة طبيعية بل هو معيار اجتماعي غير مستقر . ومع بدء الممارسات الجسدية المختلفة في تغيير المجتمع ، فإن هذه المعايير تتعرض للتحدي أيضًا .

ثانيًا، تحول معنى الهوية من التركيز على التشابه (وهذا هو الشعور العام بالهوية المفترضة بموجب مفهوم المواطنة) إلى الاعتراف ، حيث يدعي المرء أنه مختلف عن الآخرين بناءً على سمات يمكن التعرف عليها أو تحديدها . هذه ليست بالطبع مناهج متبادلة الحصر للهوية ، لكنها تعكس تحولًا حيث أصبحت علامات وممارسات الاختلاف الثقافي الآن مركزية لمطالبات الإدماج والاستبعاد والاستحقاق والحرمان من الحقوق . وقد حدث هذا التحول جزئيًا نتيجة لتزايد نطاق التنقل في جميع أنحاء العالم منذ منتصف القرن العشرين ، مما أدى إلى وصول مجموعات بعيدة سابقًا إلى اتصال يومي مع بعضها البعض بدرجة غير مسبوقة .

لقد أصبحت الثقافة مصطلحاً عاماً للممارسات والرموز والمعاني التي تشير إليها مجموعات مختلفة في المطالبة بحقوق الاعتراف . وتختلف مثل هذه المطالبات بالمواطنة الثقافية ــ الحقوق والامتيازات الممنوحة للمجموعات اعترافاً بهويتها الثقافية ــ اختلافاً كبيراً عن المفاهيم المجردة للمواطنة في المجال العام التي تقوم عليها العلمانية . فمن ناحية ، تنبع المطالبات بالاعتراف الثقافي من ممارسات غالباً ما تكون محلية للغاية في نطاقها ، ومتجسدة ، ولها أصول تاريخية وجغرافية تتجاوز الفضاء الوطني الذي تُعرَّف فيه المواطنة المجردة . وبصياغة أخرى لملاحظة عالم الأنثروبولوجيا طلال أسد : لا يمكن ترجمة المساحات التي تتسم بها العديد من الممارسات المتجذرة في التقاليد إلى الفضاء المجرد للأمة .

هل جعلت الثقافة فاطمة وليلى وسميرة يرتدين وشاحاً في استفزاز متعمد للعلمانية ؟ في حين قد يعتقد كثيرون في فرنسا ذلك ، فإن الثقافة ليست شيئًا له قوى سببية ، بل هي وسيلة لفهم كيفية تجربتنا للعالم وما تعنيه هذه التجربة لنا . ما يمكننا تعلمه هنا من جغرافية الثقافة هو أن الثقافة لا تفسر، في حد ذاتها ، السلوك دون فهم المقاييس والسياقات المختلفة التي يقوم الناس فيها بالأشياء . وهدفنا هنا ليس تقديم الحقيقة وراء تصرفات الفتيات ، بل نقل ما قد تبدو عليه جغرافية الثقافة لـ l’affair foulard. على مستوى ما ، قد تشير جغرافية الثقافة لـ l’affair foulard ببساطة إلى أن تغطية الرأس كعلامة على التدين ليست بالتأكيد ممارسة مقتصرة على الإسلام . هناك أشخاص في جميع أنحاء العالم يغطون رؤوسهم لأسباب دينية أو روحية .

والواقع أن العديد من أعمال التدين المسيحية واليهودية تنطوي على تغطية الرأس من نوع ما . لذا فإن القضية هنا ليست ببساطة قضية مجتمعات الأغلبية التي تستوعب الممارسات الثقافية للأقليات . وعلى هذا ، وعلى مستوى آخر، سواء نظرنا إلى أفعالهم كونها متعمدة وسياسية أم لا ، يتعين علينا أن نأخذ في الحسبان الطبيعة المجسدة للممارسة الثقافية ، وحقيقة أن الممارسات المجسدة لا تترجم بالضرورة إلى مساحات مجردة مثل الخاصة والعامة . ويتعين علينا أيضًا أن نأخذ في الحسبان المعايير الاجتماعية والثقافية التي تحدد المواطنة الفرنسية وأن نفهم كيف تتحدى هذه المعايير مطالبات الأقليات بالاعتراف الثقافي . وبالتالي ، فإن هذه الأسئلة المتعلقة بالحجم والهوية تشكل أيضًا قضايا مهمة تفرضها جغرافية الثقافة على فهمنا للسياسة الثقافية .

إن مثال "القضية الفولار" يسلط الضوء على العديد من جوانب جغرافية الثقافة التي تم التأكيد عليها في بعض الأقسام اللاحقة من هذا الكتاب . وكما ذكرنا سابقًا ، يركز الجزء السابع على مسائل الاختلاف ، بينما يدرس الجزء الخامس قضايا الهوية ، والسياقات والمقاييس القائمة على المكان والتي يتم من خلالها تحديد الهويات المختلفة . وينظر الجزء السادس في التنقل ، وينظر الجزء السابع في بعض الطرق التي أصبحت بها الثقافة موردًا (على سبيل المثال ، في تقديم مطالبات الاعتراف) . كل هذه المواضيع تلعب دورًا في حالة فاطمة وليلى وسميرة . ومع ذلك ، إذا نظرنا إليها ككل ، فإن الأجزاء الثمانية من الكتاب تثير أسئلة حول سياسات الثقافة ، وتستكشف الطرق المختلفة التي لا يكون بها السياسي بعيدًا أبدًا عن الثقافي .

 ومن المؤكد أن هذه هي الرسالة المركزية لـ "القضية الفولار" . وبالتالي فإن القوة هي موضوع أساسي ثابت في جغرافية الثقافة . و**الثقافة** ، كما لاحظ العديد من المساهمين في هذا القارئ ، **محملة بالقوة** . والعكس صحيح : فالسلطة تُشفَّر دائمًا تقريبًا ، وتُنقَل ، وتُتفاوض ، وتُنازع من خلال - على الأقل جزئيًا - الممارسات الثقافية . **إن المساحات التي تشكل وتتشكل من خلال خبرة الناس في عالمهم ليست محايدة ، بل إنها دائمًا ما تكون متشكلة اجتماعيًا وبالتالي تخضع دائمًا للممارسات السياسية** .

**جغرافية الثقافة كتخصص أكاديمي**

فيما يلي مخطط موجز لبعض السلالة الفكرية لجغرافيا الثقافة . ونحن لا نقدم هذا كتاريخ قاطع للمجال - فهذه التواريخ موجودة في النشر بالفعل ، والعديد منها شاملة تمامًا - بل بالأحرى كوسيلة لنقل الفهم العام للمجال إلى القارئ الذي اعتمد عليه المحررون في تجميع القراءات . وسيتم تقديم مناقشة أكثر تفصيلاً لنسب جغرافية الثقافة في مقدمة الجزء الثاني . بالإضافة إلى ذلك ، تتم مناقشة لحظات محددة في تاريخ جغرافية الثقافة تتعلق بموضوعات الأقسام في هذا القارئ بمزيد من التفصيل في مقدمات تلك الأجزاء .

إن جغرافية الثقافة كممارسة مفهومة على نطاق واسع تسبق بكثير المجال الأكاديمي الحديث للجغرافيا الذي نقدمه في هذا الكتاب . والواقع أنه طالما عاش البشر في مجموعات وكانوا على دراية بالمجموعات البشرية الأخرى التي تتقاسم معهم الأرض ، يمكننا أن نتكهن بأننا كنا مهتمين بعادات وممارسات بعضنا البعض ، والاختلافات في كيفية تفاعل الأشخاص المختلفين مع بيئاتهم . وقد تزعم أن بعض أقدم الاهتمامات العلمية المنشورة تشكل في الواقع أول الأبحاث والكتابات حول جغرافية الثقافة . ومن بين هذه الأعمال رواية اليوناني القديم هيرودوتس (القرن الخامس قبل الميلاد) عن الإمبراطورية الفارسية القديمة ، وكتاب سترابو الروماني (القرن الأول الميلادي) المكون من سبعة عشر مجلدًا والذي يصف فيه بالتفصيل الشعوب والأماكن في العالم المتوسطي التي زارها ؛ وكتابات ابن بطوطة المغربي المولد (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) الذي يروي رحلاته عبر الإمبراطورية الإسلامية في ذلك الوقت ، والتي امتدت من شمال إفريقيا عبر الهند إلى جنوب شرق آسيا والصين .

إذا كان هذا الاهتمام بالشعوب الأخرى التي تسكن أماكن أخرى ينشأ عن فضول داخلي يؤدي إلى شغف التجوال ، أو الرغبة في الغزو (أو تجنب الغزو) ، أو مزيج من الاثنين ، هو بالتأكيد مفتوح للنقاش . ومع ذلك ، فإنه يشير إلى القرابة طويلة الأمد بين الجغرافيا والأنثروبولوجيا ، وكذلك علم الآثار. الجغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم الآثار كلها لها جذورها كتخصصات أكاديمية راسخة في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وهي فترة من النشاط الاستعماري المكثف من جانب ممارسيها الرئيسيين : ألمانيا وفرنسا وبريطانيا . وكما ناقشنا فيما يتعلق بالعديد من الاختيارات في الجزء الثاني ، كان تخصص الجغرافيا محوريًا لمشاريع بناء الأمة ، والاستعمار، والإمبريالية ، والفاشية ، وأي تطور سياسي آخر تقريبًا يتضمن تنظيم المعرفة حول الناس والأماكن . **من أجل غزو الآخرين** ، من الضروري أولاً أن نعرف عنهم : ما هي عاداتهم ؟ كيف يعيشون ؟ أين يقعون ؟ وهكذا تشترك التخصصات الثلاثة في اهتمام كبير بالثقافة المادية للحضارات الإنسانية ، وفي جهد مكثف ـ على الأقل في وقت مبكر من تطورها ـ لجمع وفهرسة تلك الاختلافات الثقافية التي تعد ذات أهمية .

كما ناقشنا بمزيد من التفصيل في الجزء الثاني ، كانت جغرافية الثقافة في العصر الحديث المبكر، منذ القرن التاسع عشر فصاعدًا ، وصفية إلى حد كبير. وشكلت محاولات فهم الشخصية الوطنية ورسم خرائطها ، وروايات الرحلات ، وأوصاف العلاقة بين ظروف العالم المادي والمجتمعات البشرية ، العمود الفقري للجغرافيا الثقافية في العصر الحديث المبكر . ولم يبدأ الاهتمام في التحول من الوصف إلى التحليل إلا في أوائل القرن العشرين في العالم الناطق باللغة الإنجليزية . ومع ذلك ، ظلت هناك تيارات قوية من التلقيح المتبادل بين النسخ الوطنية المختلفة للجغرافيا ، في المقام الأول بين أمريكا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا . ومن الأمثلة على ذلك صعود ما يسمى بمدرسة بيركلي ، التي تركزت على شخصية كارل أو. ساور وطلابه في جامعة كاليفورنيا في بيركلي من عشرينيات القرن العشرين إلى خمسينياته .

لقد كان إرث ساور يتمثل في رسم التطورات الألمانية في دراسات المظاهر الارضية مع النمط الفرنسي للدراسات الإقليمية ، ودمجها في انسجام مع الاهتمامات الأمريكية بأنماط الثقافة المادية . ومن الأمثلة الأخرى تطوير نهج الثقافة - المنطقة من قبل الجغرافيين الويلزيين والأيرلنديين الذين استعانوا بالنهج الإقليمية الفرنسية ، لكنهم عملوا عليها في أنواع جديدة من التحليلات . وبالتالي ، في حين شارك جغرافيو الثقافة في العديد من الاهتمامات الأساسية في العلاقات بين الثقافة والطبيعة والمنطقة والمظاهر الارضية وما إلى ذلك ، فقد طوروا هذه الاهتمامات بطرق مختلفة جدًا .

لقد حدثت تطورات رئيسية أخرى في جغرافية الثقافة مؤخرًا ، بدءًا من سبعينيات القرن العشرين وامتدت إلى المناقشات العلمية بين جغرافيي الثقافة وفي نطاقات أكاديمية أوسع اليوم . وقد ركزت هذه الأسئلة جزئيًا على مفهوم الثقافة نفسها . **ما هي الثقافة بالضبط ؟** هل الثقافة شيء يؤثر على البشر والمجتمعات البشرية ؟ هل الثقافة عالم مستقل للعلاقات بين القوى ، وساحة للنزاع والسلطة وعدم المساواة ، كما هو الحال مع أي بناء اجتماعي آخر ؟ أم أن "**الثقافة لا وجود لها في الواقع**"؟ سيتم فحص هذه الأسئلة بالتفصيل في الجزء الأول من الكتاب . ومع ذلك ، يجدر بنا أن نأخذ في الحسبان في هذه المقدمة أنه انطلاقًا من الاقتراح القائل بأن الثقافة سياسية - وهو الاقتراح الذي يتفق عليه المحررون بكل إخلاص - ألا يوجد ، أو ألا ينبغي أن يكون هناك ، المزيد من دراسة جغرافية الثقافة بخلاف وصف السمات المرئية في المظاهر الارضية ؟

في الواقع ، ألا تحمل دراسة الثقافة معها ضرورة دراسة ، بل وحتى المشاركة في ، الصراعات الرئيسية في المجتمع ؟ مع وصول المزيد والمزيد من النساء والجغرافيين غير البيض إلى مناصب مؤثرة في الأوساط الأكاديمية ، تغير ممارسو جغرافية الثقافة أنفسهم . وفي العديد من الحالات ، فتح هذا الباب أمام قضايا العرق والجنس والجنسانية كموضوعات مشروعة للدراسة في جغرافية الثقافة . وقد تم فحص هذا التحول بعمق في الجزء السابع من كتاب القارئ . وأخيرًا ، في مجال الجغرافيا ، كان جغرافيو الثقافة غالبًا في طليعة من يشككون في افتتان هذا التخصص بالعمليات غير الإنسانية إلى حد ما لبناء النماذج ، والتحليل المكاني الذي يقوده الكمبيوتر، والقياس الكمي . وقد أدى النهج الأكثر إنسانية من قبل بعض جغرافيي الثقافة ، فضلاً عن غيرهم ، إلى إبقاء المخاوف القديمة حية بشأن **التجربة الحية للمكان** ، والتحقيق الأدبي والفلسفي في مكاننا على الأرض ، ودور الإبداع البشري في إضفاء المعنى على الحالة الإنسانية .

كانت هذه الأسئلة الأكبر تميل إلى التكرار بين ممارسي جغرافية الثقافة . بالطبع ، كانت هناك أيضًا اتجاهات زمنية ملحوظة شكلت الكثير من العمل الذي ينتجه العلماء في جغرافية الثقافة في أي وقت معين . على سبيل المثال ، في الثمانينيات كان هناك تركيز كبير على قضايا التمثيل ، والانعكاس ، والحركات الاجتماعية التي كانت تحشد حول مجموعات جديدة من الهويات الثقافية . في تسعينيات القرن العشرين ، ظهرت العديد من الاستفسارات حول **طبيعة الذاتية** ــ وهو المفهوم الذي يرجع الاختلاف الدقيق بينه وبين الهوية إلى حد كبير إلى عمل الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي ميشيل فوكو ــ فضلاً عن العديد من التحديات التي واجهت مركزية التمثيل في تحليلاتنا للممارسة الاجتماعية والثقافية . وقد حلت دراسات الحياة اليومية محل فحوص الحركات الاجتماعية إلى حد ما ، وقد تسارع هذا الاتجاه في بعض النواحي في الآونة الأخيرة . وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، حاول جغرافيو الثقافة البريطانيون على وجه الخصوص تجاوز التركيز على التمثيل الذي كان بالغ الأهمية في العقد السابق . وتجلب الجغرافيات غير التمثيلية المزعومة الناشئة عن هذا التقليد التجربة ، وغير المرئية ، والانقسام المتنازع عليه بين الإنسان وغير الإنسان إلى محادثة جغرافية الثقافة .

إن ما تشير إليه هذه التطورات ليس مسارًا تطوريًا لجغرافياة الثقافة على طول مسار تاريخي معين بقدر ما هي عملية مستمرة من التشكيك في محتوى وحدود هذا المجال . وكما توضح المناقشات أعلاه حول فيلم ماتياس وو وفيلم "القضية الفولار في فرنسا" ، فإن جغرافية الثقافة مجال مثير للجدال سواء من حيث السياسات الأوسع نطاقًا للثقافة والمكان والهوية وكذلك من حيث الاستقصاء العلمي لهذه الممارسات . ولكن كما زعمنا أعلاه ، ليس من نيتنا أن نكتب تاريخًا شاملاً لجغرافية الثقافة هنا ، ولا نعتزم فرض رؤية حول الاتجاه الذي نعتقد أن جغرافية الثقافة تتجه إليه أو ينبغي لها أن تتجه إليه .

إن ما سنقوله هنا ، ونناقشه بمزيد من التفصيل في مقدمات الأجزاء الفردية ، هو أن **جغرافية الثقافة** من الأفضل أن نفكر فيها بصيغة الجمع ، وأن من الخطأ على الأرجح أن نقسم جغرافية الثقافة بدقة إلى نصفين تقليدي وجديد ، وأن أي محاولة لفرض تماسك قوي على هذا المجال سوف تغفل بالضرورة قدراً كبيراً من العمل المهم . لقد وفرت جغرافيات الثقافة مجالاً دراسياً غنياً وديناميكياً يستخلص بعض الاهتمامات الفكرية والاجتماعية الرئيسية في ذلك الوقت . ومع الاعتراف المتزايد عبر العلوم الاجتماعية على نطاق أوسع بأن الثقافة تشكل ساحة حيوية للتحقيق ، ومع التركيز المتزايد على البعد المكاني في التخصصات الأخرى غير الجغرافيا ، فإن مجال جغرافية الثقافة هو في المقدمة والمركز في الأوساط الأكاديمية اليوم .

بدلاً من تسليط الضوء على التغيير المستمر في المجال والتأكيد على سلسلة لا نهاية لها على ما يبدو من جغرافيات الثقافة "الجديدة" ، فإن وجهة نظر محرري هذا الكتاب تميل إلى الانحياز أكثر إلى وجهة نظر الجغرافيين نايجل ثريفت وسارة واتمور، اللذين أكدا على الاستمرارية الملحوظة عبر الزمن في اهتمامات جغرافيي الثقافة الممارسين ، من خلال ملاحظة "العودة شبه الهوس إلى الانشغالات التي لم تختف حقًا أبدًا ، الانشغالات بأشياء الحياة ؛ بما يشكل الشخصية ؛ بإرث الإمبراطورية ؛ بالشعور بالانتماء" .

**بعض الأفكار النهائية حول هذا الكتاب**

كما كنا نأمل أن نوضح في هذه المقدمة الموجزة ، فإن جغرافية الثقافة هي مجال واسع النطاق من الاستقصاء الذي يمس العديد من الجوانب المختلفة لحياتنا الاجتماعية والشخصية . لقد حاولنا نقل هذا الاتساع من المواضيع في القاراءات من خلال تضمين العديد من الاختيارات من قبل غير الجغرافيين الذين عملوا مع ذلك على مواضيع جغرافية الثقافة ، أو الذين بنى جغرافيو الثقافة على أعمالهم . إلى جانب الجغرافيين الأكاديميين ، يتضمن الكتاب مساهمات من المؤرخين وعلماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا ومنظري الدراسات الثقافية ، فضلاً عن العديد من المثقفين العموميين .

إن الانتقائية الأكاديمية الممثلة في الكتاب هي اعتراف بأن **جغرافية الثقافة** هي مجال متنوع ومتعدد التخصصات في نواح كثيرة ، واعتراف بأن الثقافة أصبحت متغيرًا مهمًا بشكل متزايد في العلوم الاجتماعية الأوسع نطاقًا اليوم . في الماضي ، كانت دراسة الثقافة حكرًا على الأنثروبولوجيا فقط ، ولكنها الآن أصبحت من اختصاص علماء في مجالات متنوعة مثل العلوم السياسية (على سبيل المثال ، كتاب سيلا بن حبيب "ادعاءات الثقافة"، 2002)، وعلم الاجتماع (على سبيل المثال ، كتاب شارون زوكين "ثقافات المدن"، 1995 ")، والتاريخ . ونظرًا لهذا التحول الثقافي المزعوم في العلوم الاجتماعية ، فهناك حاجة لاستكشاف مفهوم الثقافة الذي يشكل جوهر جغرافيات الثقافة المتعددة التي تم استكشافها في هذه الصفحات . وكما يناقش الجزء الأول بمزيد من التفصيل ، هناك قدر هائل من الغموض الأكاديمي المحيط بمصطلح "الثقافة" . ويرجع هذا جزئيًا إلى أنه مفهوم يسافر على نطاق واسع عبر مجالات المعرفة التخصصية والأكثر شعبية .

لا نسعى في هذا الكتاب إلى حل التفسيرات المتنازع عليها لمفهوم "الثقافي" ، سواء بالنسبة للعلوم الاجتماعية بشكل عام أو بالنسبة لجغرافية الثقافة بشكل أكثر تحديدًا . ولكننا نعتقد أنه في حين أن الثقافة قد تكون مفهومًا محرجًا وغامضًا ومربكًا ومتهالكًا في كثير من الكتابات الأكاديمية ، فإن هذا لا يبرر إغراء التخلص من المفهوم من التحليلات العلمية . بعبارة أخرى ، لا نشعر - كما اقترح البعض - أننا نعيش في عصر ما بعد الثقافة ، أو أن استدعاء الثقافة هو بمثابة خطوة خطيرة في إيجاد الأعذار لسلوكيات كنا لنندد بها لولا ذلك كونها ازدراءً للكرامة الإنسانية بغض النظر عن سياقها . بدلاً من ذلك ، نقدم المناقشات التفصيلية للثقافة في الجزء الأول كجزء من قناعة عامة بأن الجغرافيين يجب أن يكونوا واضحين بشأن كيفية تصورهم للثقافة ، والمجتمعات الفكرية خارج الجغرافيا التي يجب أن يتعاملوا معها كجزء من نهجهم للثقافة .

وعلى هذا ، ففي حين أننا لا نقدم تعريفنا المفضل للثقافة في هذه "القراءات" ، وفي حين لا نرغب في مراقبة المحتوى الثقافي للجغرافيا ، فإننا نعتقد أن الجغرافيين يجب أن يلتزموا بنشر الثقافة على أساس نظري في دراساتهم . وبعيدًا عن هذا ، كانت أهدافنا التحريرية في تقديم سلسلة من الأعمال الأصلية والقابلة للوصول والمناسبة للباحثين في الماضي والحاضر الذين عملوا عبر العديد من الموضوعات المختلفة في جغرافية الثقافة . وقد تم استبعاد العديد من اختياراتنا الأصلية من إعادة الإنتاج هنا بسبب قيود حقوق النشر، أو التكاليف ، أو الصعوبات في تكييف المواد الأصلية إلى الطول أو المستوى المناسب لقرائة الطلاب . وبطبيعة الحال ، فإن أي اختيار للأعمال الأكثر "أصالة وإمكانية للوصول والمناسبة" في جغرافية الثقافة سوف يستلزم اختيارات من المؤكد أن يتنافس عليها آخرون في هذا المجال .

 والواقع أننا شهدنا موجة من الكتيبات الإرشادية ، والقراءات ، والكتب المدرسية ، وما شابه ذلك ، وكلها تقدم زاوية معينة لجغرافية الثقافة . مع وضع هذه الموارد الأخرى في الحسبان ، فقد تعاملنا مع هذا القارئ بهدف تمثيل النطاق المتنوع للمجال في كل من السياقات الأمريكية والأنجلو أمريكية ، بأكثر الطرق سهولة في الوصول والتمهيدية الممكنة . وتحقيقًا لهذه الغاية ، تم اختصار كل اختيار من أجل الطول والوضوح ، وقد تم تزويد كل اختيار بنظرة عامة تمهيدية تضع الحجج والمساهمات الرئيسية للاختيار ضمن سياق علمي أوسع ، فضلاً عن توفير معلومات أساسية عن الأفكار والمؤلفين .

تم تجميع الاختيارات في **ثمانية أجزاء** ، والتي لا تسعى إلى توفير مجموعة ثابتة وسريعة من التقسيمات الفرعية لجغرافية الثقافة ؛ بل تساعد الأجزاء الطلاب المبتدئين في جغرافية الثقافة على فهم مجموعة واسعة من الموضوعات التي استخدمها جغرافيو الثقافة في عملهم . يتم تقديم كل قسم بمقدمة موجزة ، حيث يقوم المحررون بجمع الخيوط الشاملة التي تمر عبر الاختيارات الفردية ، وتوفير مناقشة للمصطلحات الأكثر تحديًا عند الحاجة ولعل إحدى المهام الأكثر صعوبة في تجميع مثل هذا القراءات هي جعله مفيدًا للعديد من أنواع الطلاب المختلفة الذين سيستخدمونه في دوراتهم . وقد تلقى كل من المحررين، تيم أوكس وباتريشيا برايس ، تدريبهما في الولايات المتحدة ، ولكن كجزء من الهدف العام المتمثل في نقل اتساع جغرافية الثقافة ، قمنا بتجميع مجلد يمثل جغرافية الثقافة في كل من أشكالها الأمريكية والبريطانية .

ونناقش بعض هذه الاختلافات ، وسوء الفهم العرضي ، في مقدمة الجزء الثاني من القراءات . وفي الوقت الحالي ، من المهم ببساطة الإشارة إلى أنه على الرغم من وجود تلقيح متبادل كبير عبر الأطلسي ، إلا أن بعض التقاليد والأساليب المتميزة ما تزال قائمة . بغض النظر عن موقعك - ​​سواء كنت تدرس في بريطانيا أو الولايات المتحدة أو هونج كونج أو كندا أو أستراليا أو سنغافورة أو نيوزيلندا أو في أي مكان آخر في العالم ، فإننا نثق في أن هذا الكتاب سيساعدك على تقدير المساهمات المتنوعة في جغرافية الثقافة ، وموضوعاتها الدائمة ، والأهم من ذلك النوافذ التي يمكن أن تفتحها جغرافية الثقافة على عالمك .